الحيدري

رائد دراسات السيرة الذاتية في الأدب السعودي

د. مُحَمَّد بن عبدالرحمن الربيّع

وكيل جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية ورئيس النادي الأدبي بالرياض سابقاً

وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

–١–

في عام (١٩٨٦م) عُيّن عبدالله الحيدري مذيعاً في إذاعة الرياض بعد حصوله على الشهادة الجامعية من قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب بجامعة الملك سعود.

وفي الإذاعة اُشتهر الحيدري بتقديم البرامج الثقافية والحوارية وأتاحت له تلك البرامج أن يتحاور مع كبار الأدباء والمثقفين السعوديين والعرب، وبعض هذه البرامج يقوم على محاورة الضيف في أطوار حياته ومراحل تعليمه والتحولات الثقافية والفكرية التي طرأت على شخصيته، وكان هذا المذيع الشاب حريصاً على إعداد الأسئلة والغوص في زوايا وخفايا وإبداعات الضيف، ونتج عن ذلك أن أصبح تحليل الشخصيات وأبعادها من أهم مكونات برامج الحيدري الثقافية، ودفعه ذلك إلى أن يقرأ كثيراً في كتب التراجم وكتب السيرة الغيرية والسيرة الذاتية وأن يعشق هذا الفن الأدبي الراقي.

–٢–

بعد ذلك التحق الحيدري بقسم الأدب بكلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية؛ للحصول على درجة الماجستير واجتاز السنة التحضيرية بتفوق وبدأ مرحلة البحث عن موضوع لرسالة الماجستير وفي لحظة حاسمة اتجه إلى عشقه القديم في دراسة الشخصيات وتحليل مكوناتها، فأقدم على اختيار موضوع بكر صعب، وهو دراسة السيرة الذاتية في الأدب السعودي وهو موضوع بكر إذ لم يسبق أن بُحث في رسالة جامعية أو في كتاب مستقل، وهو موضوع صعب إذ يحتاج إلى بحثٍ متعب للحصول على السير الذاتية التي أصدرها السعوديون وإلى قراءة متأنية لها وقبل ذلك إلى تعمقٍ في مفاهيم السيرة الذاتية ومقوماتها وخصائصها فكان لا بد من تخصيص وقت طويل لقراءة المصادر العربية والمصادر المترجمة عن أصول كتابة السيرة الذاتية كما يتضح ذلك في

التمهيد الطويل للرسالة وكان عليه أن يقرأ الكثير من سير الأدباء والمفكرين العرب ليوازن بينها وبين سير السعوديين، وهو ما يتضح في الفصل الرابع من الرسالة.

سجل الحيدري رسالة الماجستير عام (١٩٩٣م)
ونوقشت بتاريخ ١٩٩٦/٥/٢٩م
وصدرت طبعتها الأولى عام ١٩٩٧م، والثانية عام ٢٠٠٣م.

-٣-

ونورد هنا عرضاً موجزاً لتلك الرسالة الرائدة في مجالها حيث تتكون من (تمهيد) مطوّل يشتمل على شرح مفصل لمفهوم السيرة، ثم عرض موجز لست عشرة سيرة ذاتية سعودية أولها (أيامي) لأحمد السباعي وآخرها (من حياتي) للدكتور محمد بن سعد بن حسين.

وفي الفصل الأول: دراسة للنشأة والتطور (البدايات والدوافع / مراحل كتابة السيرة الذاتية / السيرة الفنية).

وخصص الفصل الثاني لدراسة موضوع السيرة الذاتية (الموضوعات التاريخية / الموضوعات السياسية / الموضوعات الاجتماعية / الموضوعات الفكرية).

أما الفصل الثالث فهو عن الخصائص الفنية (الباعث الفني/ شخصية الكاتب / النزعة القصصية / الاعتدال والتكلّف/ المستويات الزمنية / صورة المكان / اللغة والأسلوب).

وخصّص الفصل الرابع والأخير للموازنة بين كتّاب السيرة الذاتية في المملكة العربية السعودية وغيرهم في الأقطار العربية.

وقد أصبحت الرسالة بعد أن تحولت إلى كتاب مرجعاً مهماً لكل الدارسين للسيرة الذاتية في الأدب السعودي.

– ٤ –

عاد الحيدري إلى تقديم دراسات عن (السيرة الذاتية) في الأدب السعودي بعد أن انقطع عنها مدة خمس سنوات أنجز فيها رسالة لنيل درجة الدكتوراه بعنوان (آثار حسين سرحان النثرية: جمعًا وتصنيفًا ودراسة) في ثلاثة مجلدات نشرها له النادي الأدبي بالرياض عام (٢٠٠٥م).

عاد – والعود أحمد – ليكتب دراسات عن عدد من السير الذاتية السعودية، وطبّق ما أصّله وفصّله في الرسالة فكان من نتاج ذلك دراسات تحليلية نقدية قدمها في المنتديات الأدبية وغيرها ومن ذلك:

- إطلالة على (خطى) الدكتور عبدالرحمن الشبيلي.
- قراءة في سيرة الدكتور مسعد العطوي (التحوّل).
- قراءة جديدة في (سيرة شعرية) للدكتور غازي القصيبي.
- مع عزيز ضياء في (حياتي مع الجوع والحب والحرب).
- قراءة في (سوانح الذكريات) لحمد الجاسر.
- أبو عبدالرحمن ابن عقيل وتباريحه.
- شقة الحرية للقصيبي (رواية السيرة الذاتية).
- غربة المكان وإبراهيم الحميدان.
- حفيد ابن بشر وحب الحصيد.
- أبو داهش وحياة في الحياة.
- سليمان الحماد (من السادسة إلى الستين).
- مشوّح المشوّح (وانجلى الغبار).
- الدكتور سعد الرفاعي (من الألف إلى الدال).

-٥-

الغوص في الأعماق واستنباط الموضوعات:

اكتشف الحيدري بعينَي الناقد البصير والقارئ الحاذق وجود موضوعات وقضايا وأحداث مشتركة وردت في أكثر من سيرة فاتجه إلى استنباط تلك الموضوعات في عدد من الدراسات ومن ذلك:

- الوطن في السيرة الذاتية السعودية.
- حضور الجزائر في نماذج من السير الذاتية السعودية.
- صورة المدن المصرية في نماذج من السير الذاتية السعودية.
- حضور القهوة في نماذج من السير الذاتية السعودية.
- قراءة في مقدمات السير الذاتية السعودية.

-٦-

أصبح الدكتور الحيدري من أشهر النقاد السعوديين في مجال (السيرة الذاتية)، وكان متابعاً جاداً لكل ما يدور في الساحة الثقافية السعودية مما له علاقة بهذا الفن ولذلك نجده يصدر في عام (٢٠٠٨م) (ببيلوجرافيا السيرة الذاتية السعودية) مشتملة على (١٦٢) مادة، وبعد عشر سنوات (٢٠١٨م) صدرت الطبعة الثانية مشتملة على (٤٨٣ مادة)

وبالإضافة إلى هذا الرصد الدقيق نجده مشرفاً أو مناقشاً لعدد من رسائل الماجستير والدكتوراه في الجامعات السعودية في مجال السيرة الذاتية، ونجده أيضا حريصاً على المشاركة في كل الفعاليات الثقافية والعلمية التي تقيمها الجامعات والأندية الأدبية في هذا المجال.

وقبل الختام أنقل فقرة من مقالة كتبها بعنوان (السيرة الذاتية في المملكة بين الإبداع ومواكبة النقد) حيث يقول: عندما أعود إلى ما قبل ربع قرن من الزمان

عندما سجلت موضوعي في الماجستير في السيرة الذاتية في الأدب السعودي وأتذكر هذه المغامرة البحثية في جنس أدبي لم يدرس بعد ولم يكن من اهتمام مؤرخي الأدب في المملكة على الإطلاق مع خفوت تام في تناوله أو تناول الأعمال الإبداعية فيه وأقارن بين ما كان وما نحن عليه الآن أشعر بفخر واعتزاز وأن المغامرة باتجاه هذا الجنس آتت أكلها أو كادت إذ أصبحت السيرة الذاتية جنسًا له حضوره النقدي في أماكن رصينة مختلفة، وفي المقدمة الجامعات السعودية التي ساندت تسجيل أكثر من رسالة ماجستير ودكتوراه في هذا المجال.

وختاماً: يحق لنا أن نقول بكل ثقة: إن الحيدري هو الرائد والدارس والناقد والمتابع لكل ما له علاقة بالسيرة الذاتية في الأدب السعودي.